**التسلسل 2ـ 26**

**اسم المادة:محاضرات في منهج البحث التاريخي**

**عنوان المحاضرة:تعريف التاريخ**

**تعريف التاريخ:** وإذا ماعدنا الى نطاق التاريخ والاتجاهات الرئيسة فيه، واجهتنا جملة تعريفات ومفاهيم للتاريخ، ولنبدأ بالمؤرخ اليوناني الشهير هيرودوتس(Herodotus) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ،فالتاريخ في رأيه يشتمل على التحري والبحث والتحقيق في احداث الماضي وتسجيلها، ولا يتم هذا التحري في نظر هيرودوتس الا اذا قام به المؤرخ نفسه، وسافر الى الاماكن التي يروم دراستها من الناحية التاريخية، ويقرب هذا المفهوم للتاريخ من التعريف الذي ذكره عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت808هـ/1405م ) في مقدمته الشهيرة فهوه يبدأ حديثه عن التاريخ بالقول " اما بعد فأن التاريخ فن من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال وتشد اليه الركائب والرحال وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال وتتنافس فيه الملوك والاقبال وتتساوى في فهمه العلماء والجهال،اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول ..... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعد في علومها وخليق... "،ويقول محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (ت 879 هـ/1474) في تعريفه للتاريخ "واما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان واحواله وعن احوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته "، أما محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ/497م) فيقول عن التاريخ: "وأما موضوعه فالأنسان والزمان ومسائله احوالهما المفصلة للجزيئات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان " ، ويعرفه أحد مؤرخي القرن التاسع عشر الميلادي الانكليز وهو تشارلز فيرث بقوله:" التاريخ شيء لا يسهل تعريفه ولكن يبدو لي انه سجل لحياة المجتمعات الإنسانية وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار التي تحكمت في توجيه نشاط تلك المجتمعات المادية التي ساعدت على تطورها "، وهكذا ترى ان الاتجاهات تتباين في تعريف التاريخ "فهناك من يراه البحث عن الحقائق الثابتة وتدوينها، وهي نظرة تغلب في القرن التاسع عشر وهناك من يعتبره تفسير الحقائق وربطها، فالمؤرخ يختار الحقائق او بالأحرى يبحث عن حقائق معينة ويجمعها وهذه هي مادته الأولية ثم يكسبها مفهومها التاريخي، وفي الحالتين يكون المؤرخ محور الموضوع.. " ، ويؤكد عبد العزيز الدوري هذه الصلة بين المؤرخ وحقائق التاريخ، فيشير الى انها وشيجة جدا فالمؤرخ دون حقائق لا جذور له، والحقائق دون مؤرخ مجردة من الحياة والمعنى، فالتاريخ عملية مستمرة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه او هي "حوار متصل بين الماضي والحاضر"، غير ان المعنى اتسع تدريجيا" ولم يعد مفهومه يقترن بالماضي وحده، " لان التاريخ" كما يقول حسين مؤنس أصبح يمثل "حركة الكون وحركة الارض وحركة الاحياء والناس على سطح الارض وما تستتبعه هذه الحركة الدائمة من تغيير دائم، وحيث أن الحركة تغير مستمر منذ ان بدأ الله سبحانه وتعالى الخلق الى ان يطوى الارض وما عليها، فان التاريخ ايضا متصل منذ الازل الى الابد، وهو يشمل الماضي والحاضر والمستقبل جميعا، فكله تاريخ وكله ميدان عمل المؤرخ، وهو نهر الحياة المتدفق الجاري المتجدد دائما بما يأتي منابعه وما تأتي بعده روافده "، وينسجم هذا المفهوم الواسع لنطاق التاريخ مع ما أشار اليه أحد الباحثين العراقيين(صالح العلي) من حيث اتساع معناه، وبلوغه خلال القرن العشرين أقصى مداه، فأصبح يشمل جميع شؤون البشر الماضية متداخلة او على انفراد، بما فيها الشؤون الدينية والعلمية والعمرانية والسياسية والحربية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلاقات الدولية، وكذلك أثر البيئة في حياة الانسان، فالتاريخ على هذا الاساس هو: " كل ما طرأ على البشرية بفعل البيئة، وما نجم عن جهود الانسان، أما علم التاريخ فهو تدوين ذلك على الوجه الصحيح ومحاولة اظهار معناه "، وقد اختصر قسطنطين زريق تعريف التاريخ بخمس كلمات فعرفه بأنه:" السعي لادراك الماضي البشري وأحيائه "، وقد أقترح للتفريق بين الماضي البشري ذاته ودراسة هذا الماضي أن نطلق على الاولى منهما كلمة "التاريخ" ، وعلى الثانية كلمة "التأريخ" (بالهمز)، لم يقف اختلاف الباحثين عند حد التباين في تفسير مفهوم التاريخ ونطاقه بل امتد الى النظر الى كونه علما وادبا او كلا الاثنين، وظل هذا الامر مدار خلاف بين المؤرخين أنفسهم وبينهم وبين المختصين بالعلوم الاخرى، لاسيما العلوم الطبيعية، ولعل من أبرز المنادين بعلمية التاريخ وانه ليس فرعا من الادب، هو بيوري (J. B. Bury) الذي يعد من أشهر مؤرخي انكلترا في الربع الاول من القرن العشرين، فقد أعلن في احدى محاضراته في جامعه كمبرج (Cambridg) عام 1903م: " ان التاريخ علم لا أكثر ولا اقل "، ولم يقبل الفلاسفة الطبيعيون بهذه المقولة وانبروا ليثبتوا ان التاريخ دون العلم بكثير، لان مادته تختلف عن مادة العلوم التي يشتغلون بها من حيث كونها غير ثابتة ولا قابلة للتحديد، وهناك اعتراضات اخرى نادى بها هؤلاء العلماء لدحض علمية التاريخ التي اشار اليها هرنشو (F. J. C. Hearnshaw) وهي تتلخص فيما يأتي:1ـ ليس من الميسور معاينة وقائع التاريخ معاينة مباشرة.2ـ ان الاختيار والتجربة أمران غير ممكنين في الدراسة التاريخية.3ـ لا يمكن ان تصل في التاريخ الى التعميم او القوانين العلمية، لان كل واقعة من التاريخ قائمة بذاتها.4ـ ان مادة التاريخ مركبة تركيبا لا نهاية له، وليس ثمة اتفاق بين المؤرخين على ما هو هام من الوقائع وما ليس بهام.

اسم المصدر:عبدالواحد ذنون،اصول البحث التاريخي